لا ينصح اولاده باحتراف الغناء لأن الوضع الفني ليس مفرحا

صابر الرباعي: الناس يحبون الاغنية التي تخاطبهم من الداخل

بيروت ـ «القدس العربي»

ـ من زهرة مرعي:

تمكن الفنان صابر الرباعي على إمتداد عمره الفني من تقديم ذاته الفنية إلى الجمهور عبر هوية تغلب عليها الرومانسية والرقة والشفافية. إنه فنان من طينة خاصة يسيطر على غنائه الإحساس، وتتميز إختياراته الفنية بالنهل من لغة الناس اليومية. جديد صابر الرباعي سي دي «أجمل نساء العالم» وهي أغنية يخاطب فيها المرأة التي يدرك أن جمالها هو في الروح والأخلاق. مع صابر الرباعي كان هذا الحوار في بيروت قبل العدوان الإسرائيلي على لبنان:

■ خلال حفل إطلاقك للسي دي الجديد «أجمل نساء العالم» لفتنا وجود زميل لك جديد في الفن محاط بالبادي غارد فماذا تعني لك الحماية؟

■ **لاشيء على الإطلاق.**

■ أينما كنت تتجول منفرداً؟

■ **طبعاً وبشكل عادي جداً ومع عائلتي. يأتي إلينا الناس ويسلمون بشكل طبيعي جداً. لماذا «البادي غارد» هل ستهجم الناس لتأكلنا؟ ماذا سيفعلون أكثر من أخذ الصور مع فنانهم المفضل؟ وماذا سيفعلون أكثر من التعبير عن محبتهم؟ قد يرافقني «البادي غارد» أثناء حفل ما يضم جمهوراً كبيراً لأن الجمهور سوف يتدفق الناس على الفنان بعد إنتهاء حفله، وعندها يجب أن يحتاط فقط من أجل التمكن من تنشق الهواء.**

■ وهل مررت في موقف مماثل؟

■ **مررت في الكثير من هذه المواقف. ففي بعض الأحيان كانت حتى الشرطة تعجز عن ضبط الجمهور وكدت أصاب بالإختناق. هذا التصرف من الجمهور ناتج عن حب. وهنا أكرر قد يكون معي مرافق في الحفلات، أما في سائر الأيام فمستحيل.**

■ بعد مرور حوالي 15 سنة على حياتك الفنية هل ترضى بأن يحترف أحد ولديك الغناء؟

■ **لا أقدم لهم هذه النصيحة. والسبب أن الوضع الفني الموجود في أيامنا ليس مفرحاً. الحياة الفنية كلها تعب، وعلى الفنان أن يحتاط للمستقبل على الدوام. مستقبل الفنان في وطننا العربي ليس مضموناً. نحن نعمل ونجتهد ونتعب لكن لا نعرف ماذا يخبىء لنا المستقبل. أوضاعنا تختلف عن الفنانين الأجانب الذين يملكون الحقوق الكثيرة على الصعيد المادي خاصة لجهة حقهم بنسبة من المبيعات. يمكن لفنان غربي أن يضمن مستقبله من أغنية ناجحة منفردة فقط.**

■ في السي دي الجديد «أجمل نساء الدنيا»، والذي سبقه «أتحدى العالم» تابعت نسج أغنياتك في الإطار الرومانسي. ما هي حكايتك مع الرومانسية؟

■ **أشعر بالحاجة إلى الرومانسية. وبالحاجة إلى حياة ناعمة فيها كل الحب. أعتمد على الأغنية الناعمة الرومانسية التي تخاطب الوجدان أكثر من الأغنية الخفيفة.**

■ وهل تجد تجاوباً من الجمهور في الوقت الذي تغلب الأغنية الإيقاعية على الأعمال الغنائية؟

■ **طبعاً، والدليل في المبيعات. الجمهور يحب كل الغناء الرومانسي الذي قدمته ويرغب بسماعه في السي دي وفي الحفلات. الناس يرغبون بسماع أغنية جميلة تخاطبهم من الداخل وتمس أحاسيسهم.**

■ وهل جمهور الأغنية الرومانسية من الشباب هو الجمهور الذي نشأ حولك؟

■ **الجمهور الذي يحب فناناً فسوف يحبه بكل صدق سواء أدى الرومانس أو غيره. الجمهور الذي يحب أن يسمع أغنية رومانسية من صابر على سبيل المثال، يمكنه أن يسمع منه أغنية إيقاعية خاصة به وتشبهه في شخصيته وروحه.**

■ تقدم أفكارك لشعراء الأغنية لصوغها في قوالب شعرية لماذا؟

■ **أشعر بالحاجة للتعبير عن بعض الأفكار التي تراودني من خلال الأغنية. مثلاً أغنية «عزة نفسي» قلت الكلمة للشاعر نزار فرنسيس وطلبت منه أن يكتب لي حولها. وكذلك الأمر بالنسبة لأغنية «روح الله يحميك». من الطبيعي أن أغني الكلمة التي أرتاح لها. ومن المهم جداً أن يتقن الفنان كيفية مخاطبة الجمهور ومخاطبة نفسه كمطرب وموسيقي. ومن الطبيعي أن أتداول مع الشاعر في الأمور التي أرغب بالتعبير عنها كي لا أكون غريبا عن ما أغنيه. حواري دائم مع الشاعر واللحن والموزع، لأني في ذلك أعمل كي أضمن نسبة من النجاح خاصة وأن النقاش هدفه الوصول إلى نتيجة إيجابية.**

■ في الأغنيتين إخترت كلمات من خطاب الناس اليومي. إلى أي مدى أنت قريب من الشعر؟

■ **إنها أفكار لكني لست أدري كيف تلمع في بالي؟ ربما أختار كلمة تعجبني من حوار عادي يجري بين إثنين فأطلب من الشاعر تجسيدها في قصيدة.**

■ لماذا لحنت بنفسك «روح الله يحميك» و«عزة نفسي»؟

■ **رغبت بتلحينهما لأن الفكرة نبعت مني وبالتالي يكون إحساسي نحوها أكبر.**

■ هل تقرأ الشعر؟

■ **ليس كثيراً، لكني من دون شك أتذوق الشعر. أحب سماعه وأحب الصورة الشعرية.**

■ هل تشعر بأن الألحان التي تقدمها في السي دي هي التي تمنحه روحك الخاصة؟

■ **أرغب بتقديم بعض الألحان لكني ضد الإستقلال الذاتي على هذا الصعيد. أحب التواصل مع الملحنين جددا كانوا أم قدماء.**

■ هل لديك ألحان مركونة على الرف؟

■ **لدي بعض الألحان التي يمكن إعادة النظر بها نظراً لتبدل النمط اللحني بين مرحلة وأخرى.**

■ هل يمكن أن تهدي الزملاء ألحاناً؟

■ **لن يتطور اللحن معي بإتجاه التعاون مع الزملاء.**

■ غنيت «أجمل نساء الدنيا» ما هو تحديدا الجمال بالنسبة لك؟

■ **إنه جمال الخلق والأخلاق والروح.**

■ هل ثمة دور للمرأة في حياتك عام، أخت أو زوجة؟

إلى أي حد يرتبط الفن بالثقافة في حياتك؟

■ **أظن أن الفنان يجب أن تكون لديه نسبة من الثقافة العامة التي تخوله أن يعبر عن رأيه في الكثير من المواقف في الحياة. الفنان ليس صوتاً فقط بل هو فكر يؤدي ويشارك في الحوار، كما وإنه يعبر عن رسالة لكونه إنساناً.**

■ هل يخدم الصوت المثقف إستمرارية الفنان؟

■ **يمكن للثقافة أن تسمح له بالعمل على مدى طويل وليس على مدى قصير.**

■ إلى العدد الكبير من الجوائز التي حصدتها تم منحك مؤخراً مفتاح مدينة فاس فماذا يعني لك ذلك؟

■ **أن نأخذ مفتاح مدينة فهذا شرف وتكريم. من خلال الجوائز يمكن أن نكتشف قيمتنا ومحبة الناس لنا. أن أقلد مفتاح مدينة فاس وأن أؤتمن عليه فهذا يعني بالنسبة لي قمة الإعجاب. ليس سهلاً أن أمنح مفتاح مدينة بكاملها.**

■ جوائزك الكثيرة هل أدت بك إلى الغرور؟

■ **أبداً بالعكس تماماً وأنا أطمح إلى جوائز أخرى لأنها تدعمني معنوياً. الجوائز ليست هدفي الوحيد. الهدف الأكبر هو أن تبقى أغنياتي راسخة.**

■ ما هي الأغنية التي تعتبرها غاية في الإحساس في سي دي «أجمل نساء الدنيا»؟

■ **أنها «أجمل نساء الدنيا»، وتليها «روح الله يحميك»، «صدقت خلاص» و«ألف سلامة عليك». لهذه الأغنيات إحساسها الخاص.**

■ ما هي العوامل التي تحتم إختيار أغنية للتصوير؟

■ **أطبق ديمقراطية التعامل في الفن. أسعى لعدد من الأفراد كي يسمعوا معي الأغنيات وأسمع رأيهم ومن ثم أتخذ قراري. بالنسبة لي لا أفضل أغنية عن أخرى.**

■ إذا رغبت بديو مع عنصر نسائي فأي صوت تختار؟ وذلك طبعاً بعض الديو الصدفة مع أصالة نصري؟

■ **الديو مشروع دائم ولست أدري مع من. الأغنية يجب أن تكون ذات وزن والصوت النسائي كذلك. الديو يجب أن يكون مع صوت يؤدي بإحساس ويغني بشكل صحيح ولا يعتمد على تقنيات الإستديو. لا أحب ذكر أسماء، ولكن هذا الصوت موجود في بالي لا بل لديّ مجموعة أصوات.**

■ لماذا لم يتم التعاون بينك وبين مروان خوري بعد «عز الحبايب»؟

■ **لم نحضر بعد معاً أغنية بمستوى «عز الحبايب» و«نادم». مروان خوري من الذين يعملون بإحساس وتأن. وهو ليس فناناً تجارياً وهذا ما يدفعني لإحترامه. أتمنى أن يجمعنا المستقبل بأغنيات أخرى.**

■ كيف تعمل لتبقى في حال من الصعود الفني؟

■ **ضمان الصعود الدائم مسألة صعبة. لا بد من الإحساس في وقت ما بنوع من النزول ومن ثم الصعود. الصعود الدائم سعي دائم وهو صعب. من المهم أن نتعاون مع فنانين نحبهم ويحبوننا ويقدمون لنا ما هو جميل وهذا ما يضمن لنا الصعود.**

■ ما هو الأصعب هل هو النجاح أم الإستمرار في النجاح؟

■ **الإستمرار في النجاح طبعاً.**

■ ما هي المحطات المميزة في حياتك الفنية؟

■ **إنها محطات وقفت فيها على المسارح. مثلاً وقوفي لأول مرة في حياتي على مسرح قرطاج سنة 1994. الديو الأول الذي قدمته مع مغنية إنكليزية لا يمكن أن أنساه. اللحظات التي وقفت فيها مع عدد من الرؤساء العرب. هي محطات مهمة تشكل بالنسبة لي دعماً معنوياً كبيراً.**

■ ما هو رأيك بنجاح أصوات جديدة من المغرب العربي كما أحمد الشريف ورجاء؟

■ **وطننا العربي يزخر بالطاقات وبالمبدعين. وكل مبدع عليه أن يوصل صوته كما أحمد الشريف وأماني السويسي ورجاء وبهاء الكافي. علينا أن ندعم هذه الأصوات معنوياً وأن تدعمها الشركات لتكون موجودة في الساحة العربية بقوة.**

■ هناك من يصف أصوات المغرب العربي بالمثقفة والخطيرة لماذا برأيك؟

■ **السبب يعود إلى جمهور المغرب العربي ككل والذي يعرف بأنه صعب ولا يتقبل أي كان. إنه جمهور دقيق في إختياراته ويقف إلى جانب الموهبة الحقيقية.**

صابر الرباعي (القدس العربي)

العالم منشغل بولادة المسيح الدجال في 2006

«النذير»: فيلم رعب ديني ناقد للسياسة الامريكية

يحيى القيسي*

■ يبدو أن موجة الأفلام الدينية لا تنتهي في هوليوود، فهي لا تكتفي بانجاز أفلام جديدة ،بل تعيد إنتاج أفلام سابقة في نسخ محسنة، تتفاعل مع ما يستجد من مجريات في العالم، وبالطبع فإن المقصود بالأفلام ذات الطابع الديني هي التي تستند على أصول من العهد القديم أو الجديد، أو مما جاء من قصص عن القديسين، أو المسكونين بالأرواح الشريرة، أو التي تستند على معطيات تاريخية لها جذور دينية، والأمثلة كثيرة ولكن فيلم « The Omen» «أو «النذير» قد سبقه فيلم بالاسم نفسه في العام 1976، وتأتي النسخة الجديدة التي انطلقت عروضها يوم 6ـ6ـ2006 لا لتغير من مجريات أحداث الفيلم السابق بل لتضفي عليها بعدا جديدا، محتفظة بالحبكة الأصلية وعناصر الفيلم الأخرى، أما سبب بدء العروض في هذا التاريخ الغريب أي 6ـ6ـ2006 فهو قائم على فكرة اشتغل عليها كاتب السيناريو ديفيد شيلتزر، مع المخرج جون مور معتمدين على إحدى تنبؤات الفرنسي نوستراداموس التي جاءت خلال القرن السادس عشر أن موعد ولادة المسيح الدجال أو Antichrist ستكون في هذا التاريخ، وأنه ستظهر على جسد المولود علامة من ثلاث ستات متصالبة ،وتبدأ الحكاية من ذلك الترقب الذي يسيطر على الفاتيكان ومجالس القساوسة الكبار فيه لمعرفتهم أن المسيح الدجال أو ما يسمونه ابن الشيطان سيولد في ذلك الوقت حسب ما ورد في سفر لوقا، إذ أن تنبؤاتهم أيضا تطابق ما ورد في تنبؤات نوستراداموس عن ولادة ابن الشيطان، أما علامات قدومه التي يؤكدها كبار القساوسة أمام بابا الفاتيكان الذي يقف مذعورا لسماعها فمنها: رجوع اليهود إلى فلسطين ،وانهيار البرجين لمبنى التجارة العالمي، وعاصفة كاترينا وتسونامي، وثمة إشارت أيضا إلى سيطرة اتباع الشيطان على الأخبار حيث صور للتعذيب في أبو غريب، والذي يهمنا هنا ليس فقط الحبكة التي صاغت عنصر التشويق في الفيلم بل ما وراءها من دلالات.

حبكة الفيلم وصياغته الفنية

ينفتح المشهد على كهنة الفاتيكان وهم يهرعون إلى البابا ليخبروه باكتمال إشارات قدوم ابن الشيطان إلى الأرض ليدمر الدين، ولذلك فإن عليهم واجبا كبيرا لقتل هذا الكاذب في مهده، ونتعرف في مشهد آخر على ولادة طفل لدبلوماسي أمريكي في روما هو روبرت ثورن (الممثل ليف شرايبر) ويتم إخباره بأن ابنه جاء ميتا ويتم استبداله بطفل آخر لامرأة أخرى ،ويتكتم على السر عن زوجته كاثرين (الممثلة جوليا ستايلز) التي تتعامل مع الطفل الجديد دميان على أنه ابنها، ونتعرف على أن هذا الطفل الغريب هو «المسيح الكاذب» إذ ينتقل زمن الفيلم خمس سنوات قادمة لنرى دميان في عيد ميلاده فيما تقوم مربيته بشنق نفسها أمام الحاضرين بشكل مفاجيء وصادم وتقول قبل موتها إنها فعلت ذلك من أجل دميان...

الدبلوماسي روبرت ثورن يصبح سفيرا لأمريكا في لندن بعد حوادث غامضة أطاحت بالسفير السابق وكأن ثمة قوى خفية تسير الأمور، فيما تزداد شخصية دميان غرابة وتزداد (أمه) المخدوعة به نفورا منه، وهنا يشتغل المخرج على بعض العوامل التشويقية لأفلام الرعب مثل عنصر المفاجأة، والموسيقى التي تثير الفزع، ولكنه لا يخرج بعيدا عن الحبكة الأساسية ليحول الفيلم إلى فيلم من أفلام الرعب بل يبقى في دائرة الدلالات الدينية، وفيما يحاول الأب برينان (بيت بوستيليوت) وهو احد الكهنة الذين شهدوا ولادة دميان الشرير بأن يكفر عن خطيئته ويخبر السفير روبرت بشأن دميان وما سوف يرتكبه من شرور بدءا من قتل العائلة كلها ،فإن روبرت لا يستمع له ويطرده بحجة أنه يقول أشياء غير حقيقية فأي خطر يمكن أن يأتي من طفل، ولكن الأحداث تتوالى إذ يقوم دميان بإيعاز من مربيته الجديدة الغامضة بإسقاط والدته الحامل من مكان مرتفع داخل البيت ،وتموت على إثر ذلك فيما تهمس لزوجها روبرت قبل رحيله محذرة إياه من دميان وخطره ،كما تظهر في تطور حبكة الفيلم شخصية المصور الفوتغرافي كيث جينغ (ديفيد ذيليس) الذي يتتبع الأحداث ويكتشف إشارات غامضة تظهر في صوره لبعض الشخصيات سرعان ما تتعرض للموت، وهذا ما حدث للأب برينان إذ يقتل أثناء دخوله للكنيسة هاربا من أشباح تطارده فيما الأمطار والعواصف تضطرم من حوله، ويكون مقتله بسقوط صليب معدني ضخم عليه من الأعلى في لقطة بالغة العنف، ولكنها في الآن نفسه بالغة الدقة والجمال كلقطة سينمائية مبتكرة.

في ظل توالي الأحداث العنيفة يبدو أن الدور في القتل سيكون على السفير أو المصور ولهذا يتحالفان معا من أجل كشف الحقيقة، ومعرفة حكاية ابن الشيطان الذي يتربص بهما وبالبشرية، ولهذا يلجآن إلى البحث والاستقصاء إبتداء من الذهاب إلى روما لمعرفة واقعة الولادة وظروفها، ومن يكون دميان هذا، ثم البحث عن قبر طفله الذي مات في مهده، ويقودهما الاكتشاف إلى مقابلة من تبقى حيا من العاملين في المستشفى من الكهنة والراهبات، ويكتشفان أن الطفل المدفون تعرض للقتل وتهشيم رأسه ولم يمت بشكل طبيعي، وهكذا نفهم من سياق تسلسل الأحداث أن جهة غامضة قتلت الطفل من أجل ان يعيش الطفل الآخر الشرير ابن الشيطان، ونتيجة لكل ذلك يقودهما الاستقصاء أيضا إلى الذهاب إلى فلسطين لمقابلة رجل يعرف الكثير عن المسيح الدجال ومقاومته، وتدور الحوارات حول المعركة النهائية «هرمجدون»، وبعيدا عن التورط في التفاصيل لمجريات الفيلم فإن النهاية تجيء صادمة للمشاهد، وجريئة، وذات دلالات دينية وسياسية خطيرة، فبعد أن يقتل السفير زوجها روبرت، و المصور، وكاثرين وكل من حول الطفل دميان، تظهر اللقطة الختامية للفيلم الرئيس الأمريكي وهو يتبنى دميان ،وهكذا علينا انتظار أجزاء أخرى تكمل تفاصيل هذه النهاية المفتوحة على التأويل.

وربما قبل الذهاب إلى بعض التأويلات للفيلم يمكن الإشارة إلى الأداء المميز للممثل ليف شرايبر في دوره الأساسي كدبلوماسي ووالد دميان بالتبني، إضافة إلى دور الطفل المعبر (سيموس ديفي) وبعض الأدوار القصيرة الأخرى التي تجمع ما بين التعبير اللفظي والأداء الجسدي، وقد نجح المخرج مور عبر صياغته للقطات وإدارته للممثلين من إيصال المقصود من الفيلم للمتلقين، مع إعطاء مبررات منطقية مقنعة ذات بعد ديني، رغم أن تناوله لمثل هذا الموضوع الجدلي قد شابه بعض السطحية، وعدم الغوص عميقا في الأحداث والشخصيات المفترضة.

رسالة سينمائية جريئة

إذا تمعنا في الرسالة التي يرغب المخرج وكاتب النص في إيصالها إلينا، ولا سيما في المشهد الختامي للفيلم فإنها تبدو رسالة جريئة، وناقدة بشدة للسياسة الأميركية ،ليس حاليا فحسب بل في المستقبل، فكأنها تقول لنا بأن على العالم أن يرتقب الشرور القادمة من ابن الشيطان، المسيح الدجال في قادم السنوات، ولا سيما وقد تم تبنيه من قبل المؤسسة الرسمية الأميركية في أعلى هرمها، أي مباشرة من الرئيس، وهذا خطاب مباشر وصريح، وكأن السينما الهوليوودية في بعض تجلياتها ذات الطابع الديني المسيحي تنتقد هذه المؤسسة، وتتوقع شرورها المقبلة على المسيحيين أولا ومنظومتهم الدينية المسالمة، وعلى العالم أجمع.

الكل ينتظر المسيح الدجال بكل وجل لينفث شروره على الكون، والكل أيضا ينتظر قدوم المسيح المخلص والذي يحل السلام على الأرض ويقتل المسيح الكاذب ،وفي الدين الإسلامي فإن هناك دلالات كثيرة عن قدوم المهدي أولا ليبشر بالمسيح الذي يأتي ويجتمعان معا لقتل المسيح المزور صاحب الشرور، وتقول بعض الروايات الإسلامية بأن المهدي والمسيح شخصية واحدة، وأن قدومه سيحل السلام على العالم. وأيا كانت الحقيقة فإن الجميع يتفقون على أن الأمر بات وشيكا، لا بل إن الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان كان يتمنى أن يقود المعركة النهائية «هرمجدون» ضد الشر، كما أن الكثير من الأفكار السياسية التي تحكم الواقع حاليا في العالم هي نتاج للفكر الديني الذي يستند إلى تلك المعركة النهائية القادمة.

ويظهر لنا أخيرا أن السينما الأمريكية قد نشطت منذ بداية الألفية الثالثة في تناول الموضوعات الإشكالية التي تستند إلى المقولات الدينية بشكل غير مسبوق وبكل جرأة، والله أعلم ماذا تخبىء لنا من مفاجآت قادمة.

ـــــــــــــــــــــــ

* كاتب أردني

لقطة من فيلم «النذير»

فضائيات

الحملة القومية لمناصرة المناضلة هالة سرحان!

سليم عزوز*

■ كل ما أقول التوبة، ترميني المقادير. هذا مقطع من أغنية شهيرة، هو دال على حالتي في التعامل مع هالة سرحان، مذيعة قناة (روتانا)، لصاحبها خالد الذكر الأمير المفدى الوليد بن طلال (حفظه الله). فعندما رسمت سيادتها مخططا مع قادة التلفزيون المصري، يتم بمقتضاه تعيينها فيه، باعتبارها سوف تجلب له الريادة الإعلامية جاثية على ركبتيها، استفزني المشهد، لا سيما وان الحملة شاركت فيها صحف وأقلام، جندتها هالة، وأبدت (شحتفة) عليها، وهي حملة بلغت من ضخامتها، أنها تفوقت على حملة إعلامية كبرى في هذا الحين، هي الحملة القومية لمكافحة البلهارسيا.

وهنا (هبدتها) مقالين من النوع طويل التيلة، وكان عجبا أنني فوجئت بصمت رهيب، وتوقفت الحملة، ولم يتم تعيين هالة، ولم تأت الريادة إلينا، فقد ظلت في الدوحة، رد الله غربتها، وأعادها إلينا سالمة غانمة، ومعها خديجة بن قنة، فمن يدري فقد ينفخ الله في صورة تلفزيوننا الحبيب، حتى يصبح العمل فيه (أملة)، وقد تطلب خديجة مني ان أتوسط لها لدى وزير الإعلام، حتى تعمل فيه، بوصفه التلفزيون الرائد في المنطقة، وما ذلك على الله بعزيز، ومؤكد ان سماحة الوزير لن يرد لي طلبا، فأنا أحبه في الله، كما يقول احد الشيوخ، الذي يعمل في فضائية من فضائيات (بير السلم)، والذي كلما اتصل به متصل ـ متصلة أدق ـ وقالت له إنهم يحبونه، رد بأنه يحبهم أيضا في الله، وإذا كان هناك مبرر لان يحبه المشاهدون في الله، يتمثل في أنهم ينهلون من علمه، فكيف يبادلهم هو نفس المشاعر، مع انه لا يعرفهم، او هكذا يوحي؟

ما علينا، فهالة سرحان تعاملت مع موقفي على انه شق لصف المناضلين من اجلها، وانه بمثابة كرسي في الكلوب، حول أضواء الفرح الى ظلام دامس، وهذا صحيح، لكن ما دفعني لان أقول التوبة، هو تفسيرها لموقفي، فلم تتصور ان هناك من يمكن ان يتخذ هذا الموقف إلا مدفوعا من خصومها في منطقة الشرق الأوسط، وهو نفس الأمر الذي حدث عندما انتقدت فرحا كان منصوبا للدكتورة هالة مصطفى الباحثة الاستراتيجية العملاقة، وعبثا حاولت ان أقول لها ان أحدا لم «يزقني» عليها، وأنني أحبها في الله، فقد ظل سؤال أنصارها يطاردني: من «زقك» عليها. والذي زاد وغطى أننا كنا في موعد التجديد النصفي في مجلس الشورى، وكانت موعودة بالتعيين فيه، وقد صدر القرار الجمهوري بعد كتابة المقال بأيام خاليا من اسمها، فأيقنت أنها: مؤامرة، أتت أكلها، مع ان الأمر كان صدفة ورب الكعبة!

التعامل مع النقد بهذه الطريقة سواء مع هالة الأولى المذيعة اللوذعية الجبارة، او هالة الثانية الباحثة الاستراتيجية التي ليس لها حل، جعلني أحرم الاقتراب من رحابهن بالنقد، ما دام التفسير هو ذاته المعتمد عند الخالة (ستيتة) التي لا تفك الخط، وتعيش في أي حارة، فالنساء ملة واحدة، لدرجة أنني عندما رأيت الست هالة الأولى، لم تغير من طبيعتها في برامجها على القناة سالفة الذكر، من ضحك متواصل، بلا ضرورة، وفي وقت تقصف فيه إسرائيل قانا، كتبت ناقدا لها، ثم تراجعت عن نشر ما كتبت.

لكن في هذه المرة لم استطع ان امنع نفسي، لاسيما وان هناك حملة قومية تهدف الى منع السيدة هالة سرحان من العمل في (روتانا)، وأخرى تخرج خلفها هاتفة بالروح بالدم، وبشكل جعلني أظن أننا ـ في الحالتين ـ أمام عملية جهاد كبرى، ومن مات ولم تحدثه نفسه بالجهاد، مات ـ ولا مؤاخذة ـ ميتة الجاهلية.

وأصل الحكاية، ان قناة (روتانا) تنوه عن حلقة من برنامج للمذكورة، تستضيف فيها مجموعة من بنات الليل، وعلى اثر ذلك فان موقعا، وربما أكثر، على الانترنت جمع توقيعات تطالب صاحب المحطة الوليد بن طلال بوقفها عن العمل، وتسريحها بإحسان، لأنها خرجت على تقاليد المجتمع، وقيم الأديان، وبدا لي ان الموقف فيه (إن)، وربما (إن وأخواتها)، أولا لان البرنامج لم يذع، وثانيا لان برامج هالة ومحاولتها ان تصور نفسها على أنها صغيرة على الحب، مع أنها تطرق أبواب الستين بعنف، أكثر استفزازا من حلقة مع بنات الليل، هذا فضلا عن ان المذكورة عُرفت بهذا الخروج، واشتهرت به، ولا أظن ان المشاهدين يمكن ان يثوروا، ويهتفوا: والاخلاقاه، إذا قامت صديقتها إيناس الدغيدي بتقديم فيلم عن الشذوذ الجنسي، لان هذا ليس جديدا عليها، وليس متناقضا مع تاريخها المجيد.

ولان الأمر بدا غريبا الى درجة الريبة، وبدا مفتعلا بشكل كبير، فقد استسلمت لتفسير ربما سمعه البعض من الأجواء المحيطة بها، وهو ان مسؤولا امنيا كبيرا، هو وراء هذه الحملة الضخمة، التي تهدف الى حرمان هالة من الجلوس أمام الكاميرا، بحجة ان ما تنقله التنويهات عن الحلقة المشار إليها، على لسان احدى الفتيات من الصنف المذكور، يدين نفرا من رجاله، فهناك ضباط يوفرون لهن الحماية، بمقابل، وعلى الرغم من أنني مستنفر بالفطرة ضد هذا المسؤول، فان الأمر لم يدخل عقلي، لسبب بسيط فان الأمير اقرب الى أهل الحكم في مصر من حبل الوريد، بشخصه، وبجنسيته، ولنا ان نعلم ان القوم عندنا وضعوا نصا يجرم من عاب في حق ملك، او رئيس دولة أجنبية، وكما قال مكرم محمد احمد الصحافي وثيق الصلة بالسلطة انه نص تم وضعه خصيصا من اجل تحصين أهل الحكم في المملكة!.

القصد، فان الأمر لم يكن يستدعي ان يحشد الموصوف أعلاه الحشود، ويسير الجماهير المقاتلة في سبيل مكارم الأخلاق، لان تدخله الشخصي أفضل، فضلا عن ان الامير لن يوقف هالة سرحان عن العمل، حتى ولو اجتمعت الأمة على قلب رجل واحد وطالبته بذلك، وهو ما قلته عندما سعى صديق لتحريضي على القتال، باعتبار ان حرية الرأي معرضة لانتكاسة، لان الأمير لن يفكر في الاستجابة لهذه الحشود، وهو ما قلته في عقل بالي، وأنا اقرأ ما كتبه زميلنا ماجد حبته، في صحيفة (أستوديو مصر)، تحت عنوان: (الخروج الكبير) وهو يعدد عملية خروجها، او إخراجها، من القنوات التي عملت فيها. ومعلوم ان استبعادها من قناة (دريم) ـ حسب المعلن ـ يرجع الى أنها قدمت حلقة عن (العادة السرية)، وقد تعامل أصدقاؤها في حينه على أنها شهيدة حرية الرأي والتعبير، والردة الحضارية، والحب العذري.

لتنشيط (نافوخ) القارئ فان قرار الاستغناء عن خدماتها في (دريم) تم بعد حملة صحافية بسبب هذه الحلقة، وهو ما جعل البعض يتصور ان حملة الانترنت يمكن ان تطيح بها من (روتانا)، لكن فاتهم أنها كانت مجرد كبش فداء ليس إلا، فقد كان الغضب على القناة الخاصة، راجع الى بث محاضرة ألقاها محمد حسنين هيكل عن التوريث في الجامعة الأمريكية، فكانت حملة الدفاع عن أخلاق القرية هي بمثابة قنبلة دخان، تم إطلاقها للتستر على السبب الحقيقي، وبعدها تم منع هيكل من دريم، كما تم منع حمدي قنديل أيضا، بعد ان استمع المانعون الى أغنية: ما عدش فيها كسوف. والترجمة الحرفية للنص: لم يعد هناك خجل!

من الأخر، فان المسؤول الأمني، ليس بحاجة الى ان يسير الحشود المقاتلة، فضلا عن ان الأمير الوليد لن يستغني عن هالة سرحان، حتى ولو انطبق (الاخشبين)، وخرجت الجماهير في كل أنحاء المعمورة تطالبه بذلك، فهو عندما فتح لها محطاته الفضائية على البحري، لم تكن تسبق اسمها بلقب الداعية الإسلامي.

رمز الاستنارة

■ لقد (بانت لبتها)، هكذا قلت عندما شاهدت الحشود المواجهة، وقد انطلقت تذود عن عرين السيدة هالة، في مواجهة حشود أعداء الحرية، والتقدم العلمي والمعملي، الى درجة ان القارئ قد يتصور ان هالة هي رمز الاستنارة في هذا الزمان، وفي أي زمان، وقد أُجري معها حوار قالت فيه أنها لن تخضع لطيور الظلام، أرأيتم الى الشجاعة الجبارة؟!

لقد قال احدهم ان المذكورة كلما علا نجمها (يا حرام) صارت هدفا، لكنها لا تستسلم، تقاوم بشراسة، رابطة الجأش. .الله اكبر. آخر قال ان سبب الهجوم عليها هو جرأتها في كشف زيف المجتمع، فهي لا تعرف الخطوط الحمراء. ويستدرك: بل إنها تعرفها، لكي تحطمها، ويقرر: ان الناس يهاجمونها، ولا يتركون أيضا حلقة من برامجها.. الله اكبر تاني!

فهل الحملة المطالبة بمنعها من الظهور على قناة العلم والإيمان الشهيرة بقناة (روتانا)، تأتي لتبرر لحملة صد العدوان، وذكر المناقب، وعملية التفخيم والتضخيم، في مذيعة ليست في تألق، من يقومون بهذه النوعية من البرامج في القنوات الاخرى، لكن الفرق أنها تعرف كيف تروج لنفسها، وتبتذل الحوار مع ضيوفها، بشكل يمثل استفزازا لا يقاوم للمشاهد، وهي سيدة علاقات عامة من الطراز الأول، فلديها حشد قتال مستعد ان يرش بالنار من يرشها بالماء، ولله في خلقه شؤون!

تذكرت الآن، ولا ادري ما المناسبة، احد الأدباء الذي كلما أنتج عملا حرض الأزهر على نفسه، من اجل ان ينسفه تقريرا، فيخرج رفاق السلاح يدافعون عن حرية الرأي والتعبير، التي يعمل المتخلفون على وأدها، وفي كل مرة لا يقف احد امام القيمة الأدبية لما أنتج، فليس هذا وقته، وتستضيف صاحبنا المحافل الدولية باعتباره احد ضحايا التخلف الذي يعم العالم الإسلامي، ويلاحظ ان كل الذين يقفون معه، لا نسمع لهم صوتا عندما يجري انتهاك حقيقي لحقوق الإنسان على يد السلطة، ولا يهتز لهم رمش عندما يتم إغلاق الصحف، وتجميد الأحزاب، وحجبها.. انه النضال المجاني على اية حال.

نعود لموضوعنا، فقد بانت لبتها أكثر، عندما فوجئنا بأن وزير الإعلام انس الفقي ـ وحسب ما جاء في جريدة المصري اليوم ـ مشغول يا ولداه هذه الأيام، وقد ظننت انه مشغول بالمؤتمر العام للحزب الحاكم، بصفته ابن المرحلة، والمرحلة القادمة، لكن تبين ان انشغاله، لأنه (شخصيا) يشرف بنفسه، على برنامج يومي لهالة المذكورة، سوف يبث في شهر رمضان الفضيل على شاشة تلفزيونه، انعم وأكرم، فقد ثبت انه ذو عقلية معملية فذة، وانا الذي سبق لي ان كتبت انه لا يمارس عمله وبالتالي لا يستحق ان يتقاضى راتبه، مع انه يعمل ويكد ويشقى ويكافح، ويعمل الليالي من اجل ان يأتي لنا بالريادة.

الوزير، كان الله في عونه، يفكر الآن، هل تكون فقرة هالة سرحان ضمن برنامج (البيت بيتك)، او في برنامج مستقل بذاته، وهي إشكالية عويصة بصراحة، لذا أرجو ان تفكروا معه، وان تبتهلوا الى الله عز وجل ان يجود على قريحته بما فيه خير البلاد والعباد، وقبل هذا اشكروا الوزير لأنه في استعانته بالمناضلة هالة تبين انه لا يخاف من طيور الظلام.. جريء حضرته!

يا قوم انتظروا الريادة الإعلامية، فهي من حظنا ونصيبنا.

ـــــــــــــــــــــــ

* كاتب وصحافي من مصر

azzoz66@maktoob.com

وارضيات